مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مجلة-علمية-محكمة-تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية-اليمن (١٨) (١٢/٢٠٢٠) ISSN: ٢٦١٧-٥٨٩٤

المعالم الدعوية في قصة مؤمن آل فرعون

د/ هاشم علي الوظاف

أستاذ مناهج البحث في العقيدة الاسلامية

في العصر الحاضر

بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية- فرع سيئون

alwazzaf77@gmail.com

ملخص البحث

تُعدّ قصة مؤمن آل فرعون أنموذجاً دعوياً تطبيقياً متميزاً، تميزت شخصيته بصفاتٍ عظيمة، وقام بأعمالٍ جليلة، وهدف هذا البحث التعريف به وبالمعالم الدعوية التي اشتملت عليها قصته، وتنبيه الدعاة إلى تطبيق تلك المعالم، وإعمال القصص القرآنية لتبصير الدعاة، وخدمة المؤسسات الدعوية لتقديم مادة علمية سهلة الإفادة لتكون زاداً دعوياً متميزا.

وقامت منهجية البحث على استخدام المنهج الوصفي الاستقرائي. في التمهيد فقد بيّن الباحث فيه: مفهوم الدعوة ومفهوم المعالم الدعوية والتعريف بمؤمن آل فرعون. واحتوى المبحث الأول على الأعمال التي قام بها مؤمن آل فرعون، أما الثاني فقد بيّن المعالم الدعوية المستخلصة من القصة؛ كرسوخ الإيمان والعلم والشجاعة والحكمة والحوار والتدرج.

وتوصل الباحث إلى بعض النتائج، منها: أهمية الأدوار التي قام بها مؤمن آل فرعون، وأهمية المعالم الدعوية التي برزت في قصته، ودورها في نجاح الدعوة، وحاجة المجتمعات اليوم لدعاةٍ يتصفون بصفاته ويقتدون به.

وخُتم البحث بوصايا منها: دعوة الدعاة إلى تمثل هذه المعالم وتطبيقها عملاً وممارسة، والتأمل أكثر في القصص القرآنية لاستخراج كنوزها، كما أنّ على المعاهد الدعوية والمدارس التربوية والمراكز البحثية تدريس قصص القرآن للدعاة والخطباء.

كلمات مفتاحية: مؤمن آل فرعون فرعون المعالم الدعوة

ABSTRACT

The story of the believer in Pharaoh's story (as narrated in the Quran) is considered as a distinct applied model for Islamic callers. His character is distinguished by many great qualities and he has carried out many great deeds. This research paper aimed at introducing him and the preaching milestones that his story stands for and alerting the preachers to the importance of applying those millstones enlighten the preachers and to serve the Islamic calling institutions to present an easy-to-inform ، authentic and distinctive Islamic material.

based on the use of the inductive descriptive methodology،

As for the preface، the researcher explained the concept of the Islamic calling، the concept of the preaching milestones، and the introducing of the believer in the story of the Pharaoh. Whereas the first section discussed the deeds of the believer of the Pharaoh story، the second section shows the outstanding characteristics of the Islamic calling and the subsequent extracted lessons such as the firmness of faith ، courage knowledge، wisdom، dialogue، and gradualism.

Among the significant results of this paper :The importance of the roles played by the believer in the Pharaoh story; the importance of the calling millstones emerging from his story and the roles they played in the success and expansion of the Islamic calling as well as the need of communities today for preachers to have his qualities and to imitate him.

The Conclusion presents many recommendations including inviting the preachers to represent and stand for these landmarks and applying them theoretically and practically، and to reflect more on the Qur'anic stories to extract their treasures. The Islamic institutes، educational schools and research centers should uphold and teach the Qur'an stories to the people working in the field of Islamic calling and preachers.

Key words: the believer ; Pharaoh; millstones; Calling

مقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام والإيمان، وأنزل على عبده الفرقان، وأرسل نبيّه للناس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى من ضلالة، وعلّم من جهالة، وبصّر من عمى، وأرشد النّاس إلى سبل الخير والهدى، وحذّر من سبل الغواية والرّدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٤، وأشهد أنّ مُحَمَّداً عبده ورسوله القائل: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»(١)، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الاشتغال بالعلم الشرعي تعلّماً وتعليماً من أجلِّ القربات وأعظم الطاعات الموصلة إلى رضوان الله تعالى وجنّته، وعلم التفسير من أهم أقسام العلوم الشرعية مكانةً؛ وأعظمها أهميةً لارتباطه بكتاب الله تعالى، ومن أكثر الموضوعات التي ذكرها كتاب الله تعالى؛ القصصَ القرآنية، وهي مادّة خصبة أرست قواعد الدعوة وعلّمت معالمها، إذ مثّلت أحداثها منهجاً دعوياً ثرياً؛ فقهاً وعملاً، كيف لا؟ وهي التي أبانت تباين البيئات واختلاف المشكلات وتعدد المعالجات، فإنّ المتأمل في القصص القرآنية يجد حوادث مختلفة ومواقف متنوعة وحالات متباينة؛ تمكينٌ وابتلاء، مرضٌ واستشهاد، فقرٌ وغنى، عسرٌ ويسر، سرورٌ وحزن وغيرها؛ مما يكمّل البناء الشخصي للداعية ويصنع مؤهلات البلاغ متكاملةَ التفاصيل.

وقصص الأنبياء هي الأهم في رسم معالم الدعوة، لأنّ الأنبياء هم الذين اختارهم الله تعالى واصطفاهم لأداء هذه المهمة الشاقّة، وتلك القصص أمثلة حيّة ينهل الدعاة من معينها

---

(١) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، (٤/ ٢٠٦٠).

ويهتدون بنورها، حيث أمر الله بذلك في قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ الأنعام: ٩٠.

وقد صُنفت مصنفاتٌ كثيرةٌ في قصص الأنبياء والرسل مجتمعة، أو منفردة؛ كقصة موسى عليه السلام بصفته أحد أولي العزم، وأكثر نبي ذكر في كتاب الله تعالى، وهناك من أقتصر في تأليفه على بعض المواقف الواردة في قصة موسى؛ كموقف مؤمن آل فرعون وهو أكثر شخص- من غير الأنبياء- أورد القرآن كلامه متتابعاً، مظهراً أهمية قصته، وهو أمر دفع الباحثين لتناول قصته بالدراسة والبحث، غير أن هذه الأبحاث لم تلتفت للمعالم الدعوية في قصته بالشرح والتفصيل؛ فكان لزاماً استنطاق الفكر ليفرد المعالم الدعوية في هذه القصة بالدراسة والبحث وأسميته: **(المعالم الدعوية في قصة مؤمن آل فرعون)**

أهمية البحث

١- التميز يبرز جليّاً في قصة مؤمن آل فرعون وتفصيلاتها التي لم تجمع لأي قصة من قصص غير الأنبياء.

٢- قيمة الموضوع علمياً: هو مادةٌ علميةٌ تزخر بثراءٍ علميٍ بفقه الدعوة ومعالمها.

٣- مكانة موضوع البحث عملياً، حيث سينعكس إيجابياً على ممارساتهم الدعوية في مجتمعاتهم.

أسباب اختيار موضوع البحث:

١-أهمية موضوع البحث وعظيم فائدته التي تعد سبباً للكتابة ودافعاً عليها، لإيضاح المعالم الدعوية.

٢-قلة الأبحاث التي تناولت قصة مؤمن آل فرعون، وقليلٌ من هؤلاء من تناول الجوانب الدعوية مفصلةً في قصته.

أهداف البحث:

١- التعريف بمؤمن آل فرعون ووظيفته وأهمّ أعماله.

٢- معرفة المعالم الدعوية المستفادة من قصة مؤمن آل فرعون.

٣- العمل على تقديم مادةٍ علميةٍ سهلة الإفادة لتكون زاداً دعوياً متميزاً للدعاة والمؤسسات الدعوية.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

تتحدد مشكلة البحث من خلال التساؤلات التالية:

١- من هو مؤمن آل فرعون وما وظيفته وماهي أهم أعماله؟

٢- ما هي المعالم الدعوية المستفادة من قصة مؤمن آل فرعون؟

حدود البحث:

للبحث حدود موضوعية؛ وهي الآيات التي تناولت قصة مؤمن آل فرعون من سورة غافر أو غيرها من السور، وما ارتبط بها من كتب التفسير وكتب الدعوة التي تشكل البحث وتحقق أهدافه.

منهج البحث:

المنهج الوصفي الاستقرائي، بجمع الآيات التي تتحدث عن مؤمن أل فرعون ثم تحليلها وتفسيرها بما يكمل صورة البحث ويحقق غاياته ويبين آثاره

الدراسات السابقة:

١- الكتب التي تناولت قصص الأنبياء وما أكثرها قديما وحديثاً، مثل قصص الأنبياء للإمام ابن كثير رحمه الله، ومن الكتب الحديثة:

أ- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، للدكتور عبد الكريم زيدان رحمه الله.

وهدف الكتاب الكشف عن بعض ما يستفاد من قصص القرآن، فيما يخص الدعوة والدعاة، لأن الدعاة هم أولى وأحقّ بالموعظة والعبرة كما قال مؤلفه، ولم يكن الكتاب مخصصا لقصة مؤمن آل فرعون.

ب- معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم للدكتور عبد الوهاب لطف الديلمي، وأصله رسالة دكتوراه، وهو مثل سابقه، لم يخص القصة بالبحث.

٢- مؤلفات وأبحاث تناولت قصة نبي الله موسى عليه السلام بشكل خاص، ومن ذلك:

أ- الأبعاد التربوية في قصة موسى عليه السلام وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير، إعداد دالية فتحي جاد الله، من الجامعة الإسلامية بغزة فلسطين، هدفت دراستها للكشف عن الأبعاد العقائدية والأخلاقية والاجتماعية والتربوية لقصة موسى عليه السلام، وخلصت هذه الدراسة إلى تفصيل الأبعاد الإيمانية والأخلاق الإيجابية وكذلك السلبية التي ذكرتها قصة موسى، ثم فصّلت التطبيقات التربوية الواردة فيها.

ب- فقه الدعوة في قصة موسى عليه السلام للدكتور محمود مُحَمَّد عمارة، من جامعة أم القرى، هدف المؤلف فيه للتعريف بالدعوة وأهميتها وحاجة الناس إليها، وحاجة الدعاة الى معارف تمكّنهم من الوصول إلى الهدف المطلوب، وخلص إلى الدروس المستفادة من قصة موسى، وأفرد جزءاً لما يستفاد من قصة مؤمن آل فرعون.

٣- أبحاث تناولت قصة مؤمن آل فرعون فقط، من ذلك:

أ- الإعجاز البياني في قصة مؤمن آل فرعون؛ تأليف ماجد بن مُحَمَّد الماجد، هدف البحث إلى توضيح الإعجاز البياني في قصة مؤمن آل فرعون؛ حيث اشتملت قصة المؤمن على ألوان عديدة من الإعجاز البياني، واستقصي كل مستويات الإعجاز في النص لفظاً وتركيباً ودلالةً، وانتهى البحث إلى بيان أن المبحث البلاغي والنقدي جزء من جوهر الإعجاز القرآني، وأن البلاغة هي أسلوب عند القدماء.

ب- فقه الدعوة من قصة مؤمن آل فرعون، للدكتور: مُحَمَّد سيد أحمد سليم، كلية أصول الدين، أسيوط- مصر، ويهدف بحثه إلى بيان حلقة من حلقات الصراع بين الحق والباطل وبيان أن العاقبة للحق، رغم قلة حملته وقلة أعوانهم كما هو حال مؤمن آل فرعون، كما يهدف هذا البحث لإبراز بعض جوانب فقه الدعوة، وما يتعلق بالداعية والمدعو وموضوع الدعوة والوسائل والأساليب الدعوية.

ج- صفات وأساليب القائمين بالنصيحة للولاة والحكام من خلال القرآن الكريم- قصة مؤمن آل فرعون نموذجاً، للدكتور: جهاد مُحَمَّد النصيرات، هدفت الدراسة إلى إبراز أهم صفات القائمين بالنصح للولاة، والأساليب الواجب اتباعها في النصح لتحقيق النتائج المرجوة، وقامت هذه الدراسة على المنهجين الاستقرائي والتحليلي، وخلص إلى أن الإيمان والعلم والحكمة وحسن الخلق؛ من أهم صفات القائمين بهذا الأمر،

وأن التدرج وربط الواقع بالتاريخ والترغيب والترهيب والموضوعية؛ من أهم الأساليب التي ينبغي اتباعها في نصح الولاة.

ما يميّز هذا البحث عن غيره:

١- التعريف بهذا المؤمن بشكل أوسع، خاصّة بالأعمال التي قام بها هذا المؤمن.

٢- التركيز على المعالم الدعوية العملية التي تؤخذ من قصته وتفصيلها بشكل أوسع.

٣- إبراز التطبيق العملي عند مؤمن آل فرعون لهذه المعالم لتكون مثالاً تطبيقياً وزاداً للدعاة.

هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمةٍ وتمهيدٍ ومبحثينِ وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل المقدمة على أهمية الموضوع، وحدود البحث، وأهداف البحث، ومشكلة البحث، ومنهجية البحث، والدراسات السابقة.

التمهيد: وفيه: أولاً: مفهوم الدعوة، ثانياً: مفهوم المعالم الدعوية

المبحث الأول: التعريف بمؤمن آل فرعون والأعمال التي قام بها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمؤمن آل فرعون

المطلب الثاني: الأعمال التي قام بها مؤمن آل فرعون

المبحث الثاني: المعالم الدعوية في قصة مؤمن آل فرعون، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: رسوخ الإيمان

المطلب الثاني: العلم

المطلب الثالث: الشجاعة

المطلب الرابع: الحكمة

المطلب الخامس: الحوار

المطلب السادس: التدرج

خاتمة، وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد:

أولا: مفهوم الدعوة

١- الدعوة لغة

"من دعو، الدعو: مصدر دعا يدعو دعوا ودعاء"(١).

"ودعا الرجل دعوا ودعاء: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلانا أي صحت به واستدعيته، والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داعٍ، ورجلٌ داعيةٌ إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة، والنبي ﷺ، داعي إلى الله تعالى"(٢).

"د ع و: دعوت الله أدعوه دعاء؛ ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير"(٣).

والذي يخلص إليه الباحث أن أهم المعاني هي:

- النداء
- الحث والترغيب.
- استدعاء الغير للحضور والإقبال، وفاعلها الداعي، وجمعها دعاة وداعون، وهو الذي يدعو إلى ما يقرب من الله والمؤذن كذلك، لأن الداعي والمؤذن يدعوان الناس للإقبال على الله.
- الدعاء والرغبة فيما عند الله.

---

(١) ابن دريد، أبو بكر محمد الأزدي، جمهرة اللغة، (٢/ ٦٦٦).

(٢) ابن منظور محمد بن مكرم، أبو الفضل، الأنصاري الرويفعي، لسان العرب، (١٤/ ٢٥٨).

(٣) الحموي، أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (١/ ١٩٤).

٢- تعريف الدعوة اصطلاحاً:

- "العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق"(١).
- " تعريف الناس بدين الإسلام وتحبيبه إليهم، أو محاولة حث المسلمين على التمسك بمبادئه وشرائعه، ودعوتهم للتمسك به والعمل بما فيه"(٢).
- "حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"(٣).
- "هي دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل"(٤).
- "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أُمروا به"(٥).
- "وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه"(٦)، وهذا التعريف يشمل أركان الإسلام والإيمان والإحسان.

---

(١) غلوش، أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، ص: (١٢).

(٢) سليم، مُحَمَّد سيد أحمد، فقه الدعوة من قصة مؤمن آل فرعون، مجلة قطاع أصول الدين، مصر، المجلد: ١٢، الجزء: ٢، ٢٠١٧م، ص: (٩٣٥-٩٣٦).

(٣) عمارة، محمود مُحَمَّد عمارة، فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام، ص: (٨).

(٤) الطبري، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، (١١/ ٥٣).

(٥) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى، (١٥/ ١٥٧).

(٦) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري،(١/ ٦).

من خلال التعريفات السابقة يمكن أن نقول: إن الدعوة إلى الله تعالى هي نداء النّاس وإقناعهم بالحسنى والأخذ بأيديهم إلى طاعة الله تعالى والعمل بالإسلام عقيدة وعبادة ومعاملات وأخلاق، وإصلاح الفرد والأسرة والمجتمع لتطبيق الإسلام واستمراره على الأرض.

ثانيا: مفهوم المعالم الدعوية

١- تعريف المعالم لغة:

"العَلَمُ: الجبل الطّويل، والجميع: الأعلام، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ الشورى: ٣٢، شبه السفن البحرية بالجبال، والعلم: الراية، إليها مجمع الجند.

والعلم: ما ينصب في الطريق، ليكون علامة يهتدى بها، شبه الميل والعلامة والمعلم والعلم: ما جعلته علما للشيء، ويقرأ: وإنه لعلَم للساعة، يعني: خروج عيسى، ومن قرأ لَعِلْم يقول: يعلم بخروجه اقتراب الساعة"(١).

فأهمُّ ما في المعلم؛ أن يكون واضحاً يراه السالكون في الطريق؛ ليكون منارة يهتدون به.

٢- تعريف المعالم الدعوية اصطلاحاً:

بالاستناد إلى المعاني اللغوية نستطيع أن نقول: إن (المعالم الدعوية): هي العلامات والأدلة التي ترشد الدعاة وتعرِّفَهم بالطرق المناسبة، والمنهجية السليمة للدعوة إلى الله تعالى على أسس صحيحة.

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، (٢/ ١٥٢)، بتصرف.

المبحث الأول:

التعريف بمؤمن آل فرعون والأعمال التي قام بها

بالتأمل في الآيات القرآنية وتفسيرها التي تناولت قصة مؤمن آل فرعون؛ أمكننا التعرف على عدة أمور عنه، ومعرفة بعض الأعمال المهمّة التي قام بها.

المطلب الأول:

التعريف بمؤمن آل فرعون

أولاً: اسمه

لم يورد القرآن الكريم اسم هذا الداعية المؤمن، فالقرآن الكريم نادراً ما يذكر أسماءً لغير الأنبياء، بل أحيانا لا يذكر بعض أسماء الأنبياء، كصاحب طالوت، فالعبرة في الأحداث وليس في الأسماء، لكن كتب التفسير أوردت عدة أقوال في تعيين اسمه، أجملها الباحث في الأقوال التالية:

- قيل: حبيب، وقيل: شمعان وقيل: حزقيل، وعليه أغلب المفسرين، ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره: "قال أكثر أهل التأويل: هو حزقيل بن صبورا مؤمن آل فرعون، وكان ابن عم فرعون،[١] وقيل: خربيل أو حزبيل"[٢].
- وجاء في تفسير الطبري: "وقد ذُكر أن اسم هذا الرجل المؤمن من آل فرعون: جبريل"[٣]، لكن ورد في تفسير سورة القصص قول آخر، حيث ذَكر أن اسمه سمعان أو شمعون: "وقوله: (وجاء رجل) ذكر أنه مؤمن آل فرعون، وكان اسمه فيما قيل: سمعان، وقال بعضهم: بل كان اسمه شمعون"[٤].

---

(١) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، (٧/ ٢٤٢).
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣٠٦)، بتصرف.
(٣) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق: (٢١/ ٣٧٦).
(٤) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق: (١٩/ ٥٤٧).

- وقيل: "مؤمن من آل فرعون وهو حزبيل بن ميخائيل"(١).
- وقيل: "كان اسمه جبران، وقيل: كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيبا"(٢).

وقد خلص الباحث إلى أنّ أشهر الأقوال في تحديد اسم مؤمن آل فرعون هو: حزقيل، وعليه أغلب المفسرين، كما قال الثعلبي، ولعل التقارب الحاصل بين هذه الأسماء التي ذكرتها كتب التفسير: حزبيل- خربيل- جبريل- حزقيل، في تعيين اسمه تؤكد هذا الاسم.

ثانياً: هل هو قبطي أم إسرائيلي؟

لم يؤمن من قوم فرعون- وهم الأقباط- إلا القليل بسبب خوفهم من بشطه وظلمه، قال تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ يونس: ٨٣ ، "هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه، وماشطته"(٣).

قال الطبري: "وقوله: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ غافر: ٢٨، اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن، فقال بعضهم: كان من قوم فرعون، غير أنه كان قد آمن بموسى، وكان يسرّ إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه، فعن السدي: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ غافر: ٢٨، قال: هو ابن عم فرعون، وقال آخرون: بل كان الرجل إسرائيلياً، ولكنّه كان يكتم إيمانه من آل فرعون، وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي القول الذي قاله السدّي من أنّ الرجل المؤمن كان من آل فرعون، قد أصغى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله، وقيله ما قاله"(٤).

---

(١) السمرقندي، أبو الليث نصر بن مُحَمَّد بن أحمد، بحر العلوم، (١٩٥/٣).
(٢) ينظر: البغوي، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (٤/ ١١٠).
(٣) البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق: (٢/ ٤٣٠).
(٤) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق: (٢١/ ٣٧٥) بتصرف.

وعند السمرقندي:"هو ابن عمّ قارون، وكان أبوه من آل فرعون، وأمّه من بني إسرائيل، ويقال: كان ابن فرعون يكتم إيمانه، وكان قد أسلم سراً من فرعون"(١).

ولعلّ القول بأنّه ابن عم قارون غير صحيح؛ لأنّ قارون كان من قوم موسى عليه السلام، بينما الراجح أن المؤمن من قوم فرعون، وهو ما دلّت عليه الآية.

خلاصة أقوال المفسرين:

١- أنّه من قوم فرعون بدون تحديد قرابته من فرعون.

٢- من قوم فرعون وهو ابن عمه.

٣- من قوم فرعون وهو ابنه.

٤- من بني إسرائيل مطلقا.

٥- أبوه من قوم فرعون وأمه من بني إسرائيل.

والراجح أنّه من الأقباط لصريح الآية، ولاستجابة فرعون له كما بين ذلك الطبري والقرطبي، ومما يدل على أنه قبطي قول الله: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾ غافر: ٢٨، وقول المؤمن في خطابه لهم: يا قوم.

ثالثاً: وظيفته

اختلف المفسرون في تحديد وظيفة المؤمن في مملكة فرعون على أقوال:

- ذهب بعضهم إلى أنه كان نجاراً، وأنه هو الذي صنع التابوت، جاء في تفسير الطبري: " ﴿ فَأَقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ طه: ٣٩، مؤمن آل فرعون هو الذي صنع التابوت

(١) السمرقندي، بحر العلوم، مرجع سابق: (٣/ ١٩٣).

ونجره وكان اسمه حزقيل)[١]، قيل: وكانت امرأته "ماشطةٌ إسرائيليةٌ.. وهي امرأة حزقيل النجار مؤمن آل فرعون"[٢].

- ومنهم من قال: إنّ له منصباً عظيماً ذا أهمية فقالوا: إنّه ولي العهد وصاحب الشرطة، وصاحب الشرطة كوزير الداخلية اليوم[٣].
- وقال آخرون: إنّه ولي العهد وصاحب السر، أي أمين السر اليوم[٤].

والظاهر أنّ لهذا المؤمن مكانة عظيمة ودورا مهمّاً في مملكة فرعون، يدلُّ على ذلك خطورة هذا القرار الذي استشار فرعون الملأ فيه، وأنّ هذا الاجتماع من السرية بمكان، فهذا المؤمن قد وصل إلى منزلةٍ مهمةٍ أهّلته لحضور مثل هذه الاجتماعات التي تناقَش فيها مثل هذه الأمور الخطيرة، وهو قتل شخص مهم كموسى عليه السلام، ومما يؤكد علو مكانة مؤمن آل فرعون ومنصبه المهم في الدولة أمورا عدة منها:

أ- أنّه من أقاربه حسب بعض المفسرين: أنّه ابن عمه أو ولده، وشأن الممالك تقريب أمثاله.

ب- أنّه من أهل استشارته فهو من الملأ الذين خاطبهم في هذا القرار الخطير.

ج- تراجع فرعون عن قتل موسى عليه السلام حين اعترض هذا المؤمن على ذلك.

المطلب الثاني:

الأعمال التي قام بها مؤمن آل فرعون

ذكرت الآيات القرآنية عدة أعمال قام بها مؤمن آل فرعون، وتكاد تتلخص هذه الأعمال في أمرين اثنين:

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق: (١١/ ١٩٥).

(٢) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، درج الدرر في تفسير الآي والسور، (٣/ ١٣٥٤، ١٣٥٥) .

(٣) انظر: أبو حيان، مُحَمَّد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، (٩/ ٢٥١).

(٤) انظر: الثعالبي، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (٥/ ١١٣).

١- حماية موسى عليه السلام من القتل.

٢- إعانة موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى.

وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

أولاً: حذر موسى عليه السلام من القتل

أوردت سورة القصص بعض التفصيل لحادثة قتل موسى للقبطي عن طريق الخطأ، وما أعقب ذلك من أحداث، وعندما قرر الملأ الانتقام من موسى عليه السلام بقتله؛ أسرع مؤمن آل فرعون إليه محذراً[(١)]، كما قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ ﴾ القصص: ٢٠.

ويتبين من خلال الآيات ما يلي:

١- تشاور الملأ وتداولهم لهذا الرأي، (يأتمرون).

٢- حصول المؤمن على هذه المعلومة الدقيقة والخطيرة دليلٌ على حضوره مثل هذه الاجتماعات المهمة.

٣- سرعة التعامل مع المعلومة واتخاذ القرار المناسب معها والتبليغ: (يسعى).

٤- الإشارة بالحل النافع والمجدي، وهو الخروج، ولم يشر عليه بالاختفاء لأن ذلك حلٌ غير مضمون.

ثانياً: إعتراضه على فرعون حين همّ بقتل موسى عليه السلام

من أهم جرائم فرعون وأشهرها بعد ادّعاء الربوبية؛ ممارسة القتل للعامّة والخاصة، وقد ذُكر ذلك في سورة غافر، فأما قتله للعامّة: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق: (١٩/ ٥٤٦). والألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١٠/ ٢٦٨).

غافر: ٢٥، وأما الخاصة: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ غافر: ٢٦.

وأوردت سورة غافر إنقاذ المؤمن لموسى من القتل، حين خاطب فرعون قومه في قتل موسى عليه السلام، وهذا دليلٌ على مدى تأثير دعوة موسى وخاصةً بعد إسلام السحرة، وفشل فرعون وذهاب هيبته وعدم قبول كثير من الناس بربوبيته نظرا لعجزه وفشله، فاستشار الملأ في قتله؛ عندها اعترض المؤمن على هذا القرار الجائر، وخاطب فرعون وملأه في ذلك، وأظهر إيمانه المكتوم، لينقذ موسى من بطش فرعون مرة ثانية، وكان له ما أراد، فقد تراجع فرعون عن جريمته، "وقد كان هذا الرجل يكتم إيمانه عن قومه القبط، فلم يظهر إلا هذا اليوم، حين أخذت الرجل غضبة لله عزّ وجل"(١).

ثانياً: القيام بالأمر بالمعروف بدعوة الملأ إلى الإيمان بالله

الدعوة الى الله تعالى، من أهمّ ما اشتملت عليه خطبة مؤمن آل فرعون، فالدعوة إلى الله والإيمان به أعظم معروف، فقد دعاهم إلى الإيمان بالله تعالى قائلاً لهم: ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾ غافر: ٤٢، فكان تارة يخوفهم بالله تعالى ويذكرهم بأسه: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ غافر: ٢٩، وتارة يدعوهم إلى الإيمان بيوم القيامة: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ ﴾ غافر:٣٢-٣٣، وعاقبة من تنكّب صراطه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾غافر: ٣٥، وقال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ غافر: ٣٣، وما فتئ المؤمن في خطبته المشهورة يعظهم وينذرهم ويبشرهم، وقد ظهر في خطبته حرصه الشديد على هدايتهم إلى دين الله، وإنقاذهم من النار التي تكرر ذكرها في خطبته، كما تكرر ذكر الكفر والشرك الذي حرص على إخراجهم منه:

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧/ ١٤٠).

﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ غافر: ٤١-٤٣.

ثالثاً: دعوة الملأ للتمرد على فرعون

زعم فرعون أنّه سيهدي أهل مصر سبيل الرشاد، وأنه يخاف عليهم أن يبدل موسى دينهم، أو أن يفسد في الأرض، وأن الحلّ هو قتل نبي الله موسى، لكن المؤمن هو وحده من اعترض على فرعون في ذلك، وأثناء خطبته التي ألقاها في بلاط فرعون، نلحظ أن هناك مراجعات وردود بينه وبين فرعون، فقد تكلم فرعون مرتين والمؤمن يرد عليه ويفند أقواله ويعترض عليها، مما يدعو الملأ للتمرد على أوامر فرعون، من ذلك:

١- اعتراضه على قتل موسى، فكلام المجرم للملأ ومشاورتهم ليس من باب الشورى فقط، فالطغاة نادراً ما يستشيرون غيرهم، وانّما كان ذلك تعبيراً عن صراعٍ نفسيٍ وتخوفٍ من عاقبة هذا الأمر، "الظاهر من أمر فرعون أنه لما بهرت آيات موسى عليه السلام انهدّ ركنه واضطربت معتقدات أصحابه، ولم يفقد منهم من يجاذبه الخلاف في أمره، وذلك بيّن من غير ما موضع من قصتهما، وفي هذه الآية على ذلك دليلان:

أحدهما قوله: ذروني، فليست هذه من ألفاظ الجبابرة المتمكنين من إنفاذ أوامرهم.

والدليل الثاني: مقالة المؤمن وما صدع به، وأن مكاشفته لفرعون أكثر من مسايرته، وحكمه بنبوة موسى أظهر من توريته في أمره، وأما فرعون فإنما لجأ إلى المخرقة والاضطراب"[(١)].

(١) ابن عطية، أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤/ ٥٥٥).

٢- دعا فرعون قومه إلى طاعته لينالوا الرشاد كما زعم: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ غافر: ٢٩، لكن المؤمن اعترض على هذه الدعوى التي تتناقض تماماً مع أفعال فرعون المجرمة، ودعاهم إلى ترك الاغترار بكلام فرعون والاتجاه إلى الرشاد الحقيقي الذي لن يجدوه إلا في الإيمان ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ غافر: ٣٨، وتأمل كلمة الرشاد التي تكررت في كلام فرعون وكلام المؤمن، وهذه دعوة صريحة للتمرد على فرعون، وكأنه يقول لهم: لا تطيعوا فرعون بل أطيعوني.

٣- تحريضه على ترك دين فرعون: فدعوته لترك الشرك والدخول في الإيمان من أعظم التحريض على تمرد المجتمع على إرادة فرعون، ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ غافر: ٤١-٤٣.

٤- ذكر بعض صفات فرعون السيئة: فقد شنّ المؤمن حرباً إعلاميةً على فرعون من خلال مخاطبته للملأ، وذكر بعض صفات السوء التي اتصف بها فرعون؛ ليكسر هيبته في قلوبهم، ومن تلك الصفات:

أ- مسرفٌ كذاب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ غافر: ٢٨.

ب- مسرفٌ مرتاب: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ غافر: ٣٤.

ج-متكبرٌ جبار: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ غافر: ٣٥.

د- ضال ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ غافر: ٣٨.

٥- إظهار ضعف فرعون، وعدم الخوف منه ومن بطشه، ولفت النظر إلى قوة الله وبأسه حيث قال لهم: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾غافر: ٢٩، فكأنه يقول لهم: إنّ فرعون ضعيفٌ أمام قوة الله، فهو الذي ينبغي أن نخاف منه، وقال لهم أيضاً:(﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ

بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾) غافر: ٣٠-٣٣.

رابعاً: خرج مهاجراً مع موسى عليه السلام

"قوله: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴾ غافر: ٤٥، قال الطبري: "فنجا مع موسى، قال: وذكر لنا أنه بين يدي موسى يومئذ يسير ويقول: أين أمرت يا نبي الله؟ فيقول: أمامك، فيقول له المؤمن: وهل أمامي إلا البحر؟ فيقول موسى: لا والله، ما كذبت ولا كُذّبت، ثم يسير ساعة ويقول: أين أمرت يا نبي الله؟ فيقول: أمامك، فيقول: وهل أمامي إلا البحر، فيقول: لا والله، ما كذبت ولا كُذّبت، حتى أتى على البحر فضربه بعصاه، فانفلق اثني عشر طريقاً، لكل سبطٍ طريق"(١) وفي تفسير ابن كثير: و"جاء أنّ فرعون وجنوده حين ألجأوا قوم موسى إلى البحر، وكان هارون عليه السلام، في المقدمة، ومعه يوشع بن نون، ومؤمن آل فرعون وموسى عليه السلام في الساقة، وقد ذكر غير واحدٍ من المفسرين: أنهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون، وجعل يوشع بن نون، أو مؤمن آل فرعون يقول لموسى عليه السلام: يا نبي الله، هاهنا أمرك الله أن تسير؟ فيقول: نعم، واقترب فرعون وجنوده، ولم يبق إلا القليل، فعند ذلك أمر الله نبيه موسى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه وقال: انفلق بإذن الله"(٢).

فهذا المؤمن حقّق من خلال الهجرة ما يلي:

١- ربط مصيره بمصير نبي الله موسى عليه السلام، وتبعه إلى هذا المكان فراراً بدينه رغم الأخطار المتوقعة.

٢- هاجر إلى الله تعالى تاركاً المنصب والمال والمكانة والقرابة والعشيرة.

٣- ثبت على الحق رغم المغريات والمهدّدات التي عادةً ما تهزّ المواقف والمبادئ.

---

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق: (٢/ ٥٣).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق: (٦/ ١٤٤).

المبحث الثاني:

المعالم الدعوية في قصة مؤمن آل فرعون

اشتملت قصة مؤمن آل فرعون على معالم دعويةٍ مهمة؛ لا يستغني عنها الدعاة في دعوتهم إلى الله تعالى، وعليهم أن يتمثلوها في أنفسهم خُلقاً وسلوكاً وعملاً، لما لها من أهمية وأثر على الداعية والمدعو، ومن ذلك:

المطلب الأول:

رسوخ الإيمان

جاء في وصف هذا الداعية أنه: (مؤمن)، فصفة الإيمان من أهم صفات الداعية، ومن أبرز ما ظهر في ثنايا خطابه لقومه؛ دعوتهم للإيمان، فهو يدعوهم إلى الإيمان بالله واليوم الآخر: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ غافر: ٤١-٤٣.

"ورغم أن الإيمان كان مكتوماً إلا أنه كان إيجابيا، له دوره الفعال في واقع الحياة كالبذرة تتوارى في الأعماق لكنها فوق السطح تبدو خضرة وثمرا، ونتساءل: كيف استطاع هذا الفرد الواحد أن يسمع صوته من حوله والدولة كلها في الجانب الآخر؟ إنها الحكمة الإلهية توحي بها الآيات الكريمة وهي تروي قصة هذا الفتي المؤمن؛ لتكون للدعاة اليوم مثلاً يحتذى"[(١)]. و" إن دعوة الملأ من قوم فرعون وذوي الشأن لا يتصدى لها إلا من كان قلبه مليئاً بالإيمان، لما قد ينتظره من صنوف البلاء، لكن التعبير بالفعل الماضي: (آمن) في هذين الموضعين بعد وصفه الأول بالإيمان، يحملان في طياتهما ثناءً عليه، تعظيماً لشأنه وهو يتصدى للملأ من قومه في مشاهد حية يصورها القرآن الكريم تصويراً فنياً يلقي في نفوسنا أن

---

(١) عمارة، فقه الدعوة من قصة موسى، مرجع سابق، ص:(١٢٨).

الإيمان قد استقر في قلب هذا الداعية منذ زمن بعيد، حتى أصبح ديدنه وشأنه، وأنّ مظاهر هذا الإيمان تتجلى وتتجدد بوضوح في كل حوار له مع قومه. وليس من التعسف أن يضاف: أن هذا الإيمان والتوحيد بالله قد تجلّى بأقسامه الثلاثة: توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات في كل أقوال هذا الداعية الفذ"(١).

إنه يعتز بإيمانه ويدعو إلى هذا الإيمان؛ في أخطر مكان وأشده على هذا الإيمان وحملته؛ إنه بلاط فرعون ذي الأوتاد، فلم يجد الخوف من فرعون إلى قلبه سبيلا، لأن خوف الله قد استولى على قلبه فلم يفسح لغيره مجالا، (ايمان راسخ) اتضح من خلال معرفته بالله وبأسمائه وخوفه من الله، ومن خلال تكراره لذكر اليوم الآخر وتفويض الأمر لله وتوكله عليه.

ومما يدل على قوة إيمانه: اعتزازه بهذا الدين وتمسكه به، بل ودعوة الملأ إلى هذا الدين، ومحاولة إقناعهم بأنه هو الدين الحق، وأن فيه النجاة في الدنيا من بأس الله، ومن ناره في الآخرة، رغم مكانته ومنصبه العظيم في تلك المملكة.

المطلب الثاني:

العلم

لابد للداعية أن يحمل مقداراً من العلم ليدعو إلى الله تعالى على بصيرة، فالعلم من أهم مؤهلات الدعاة إلى الله، فالداعية معلم للناس ومرشد لهم إلى طريق الهداية، يعرّفهم بما يرضي الله فيعملوه، وما يسخطه فيجتنبوه، ولا يمكن أن يتقن ذلك إلا بالعلم، ففاقد الشيء لا يعطيه.

فأول كلمات نزلت على الداعية العظيم محمدٍ ﷺ هي مطلع سورة إقرأ(٢)، وفيها حثٌ على العلم، وأنزل عليه: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾

---

(١) النصيرات، جهاد محمد، صفات وأساليب القائمين بالنصيحة للولاة، المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، عدد: (٢)، ص: (٣٩).

(٢) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، مرجع سابق، (١/ ١٣٩، برقم: ١٦٠).

المجادلة: ١١، وقال الله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فاطر: ٢٨، وقال عليه الصلاة والسلام: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[(١)] .

"والواقع أن تقديم العلم على أي عملٍ ضروري للعامل؛ حتى يعلم ما يريد؛ ليقصده ويعمل للوصول إليه، وإذا كان سبق العلم لأي عملٍ ضرورياً، فإنّه أشدّ ضرورة للداعي إلى الله؛ لأنّ ما يقوم به من الدين منسوبٌ إلى رب العالمين، فيجب أن يكون الداعي على بصيرةٍ وعلمٍ بما يدعو إليه، وبشرعية ما يقوله ويفعله ويتركه، فإذا فقد العلم المطلوب واللازم له كان جاهلا بما يريده، ووقع في الخبط والخلط والقول على الله ورسوله بغير علم، فيكون ضرره أكثر من نفعه، وإفساده أكثر من إصلاحه، وقد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف؛ لجهله بما أحله الشرع وأوجبه، وبما منعه وحرمه، وعلى المسلم أن يستزيد من هذا العلم الشرعي النافع ليعرف موضوع دعوته، وليكون فيها على بصيرة وبينة، فلا يأمر إلا بحق، ولا ينهى إلا عن باطل"[(٢)].

وهناك أنواعٌ من العلوم ظهرت في خطاب مؤمن آل فرعون؛ زيّنت خطابه لفرعون وملائه، ومن تلك العلوم:

أولاً: علم العقيدة

أخذ علم العقيدة من خطبته المساحة الأعظم، وفي هذا الباب ذكرهم بجوانب مهمةٍ مثل:

١- الإيمان بالله فهو يخوفهم بالله تعالى وبقوته وبأسه، فيقول لهم: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾غافر: ٢٩، وقال: ﴿ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾غافر: ٤٢، وقال مبيناً بعض عقوبات

(١) المرجع السابق، (٢/ ٧١٨، برقم: ١٠٣٧).

(٢) زيدان، عبدالكريم، أصول الدعوة (ص: ٣٢٦).

الله تعالى للمعرضين عنه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾غافر: ٣٥، وقال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ غافر: ٣٣.

ومن ضمن الإيمان بالله العلم بأسمائه وصفاته، فقد ذكر بعضاً منها فقال: ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ غافر: ٤٢، وقال لهم: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾غافر: ٣١.

٢- الإيمان باليوم الآخر حيث قال لهم: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ غافر:٣٢-٣٣، ومما قاله لهم: ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ غافر: ٣٩، وقال أيضا: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ غافر:٤٠-٤١.

ومما يلاحظ أن أكثر ما ذكره في خطبته هما ركني الإيمان بالله وباليوم الآخر، وهذا منهج القرآن فكثيراً ما يقرن بين هذين الركنين لما فيهما من تأثير على الإنسان، وهذا من فقه الدعوة وحسن اختيار الكلمات عند مؤمن آل فرعون.

٣- الإيمان بالرسل: فقد أشار إلى بعضهم في ثنايا خطبته، وكأنّه يقول لهم: إن موسى لا يختلف عن أولئك الأنبياء الذين تعرفونهم وتسمعون بهم، فكما آمنتم بأولئك وسمعتم ما حل بأممهم حين عصوهم؛ فلم لا تؤمنون بموسى عليه السلام: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾غافر: ٣١، وقال: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ غافر:٣٤.

ثانياً: الوعظ الحسن

الموعظة الحسنة من أهم ما يجلب المدعوين إلى الله تعالى، وقد أمر الله نبيه بذلك: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ النحل: ١٢٥، "يعني مواعظ

القرآن، وقيل: الموعظة الحسنة هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب، وقيل: هو قول اللين الرقيق من غير تغليظ ولا تعنيف"[١].

"وعلى هذا فإنّ أسلوب الداعية اتكأ على جناحي الترغيب والترهيب، وأنه كان يمدُ جناحه في كل مرة بما يعينه على التحليق، فقد بدأ كلامه بما يرغبهم بقوله: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ﴾ غافر: ٢٨، وبقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ غافر: ٢٩، إلا أنه اختتمه بتهديدٍ ووعيد، وهذا يدلُ على تمكنه من هذه الدعوة، بل تمكن الدعوة من قلبه؛ حتى غدا رائداً من روادها على طريق نبيه موسى عليه السلام، مع مشكاة النبيين والصالحين"[٢].

ومن الوعظ الذي أبداه لهم ما يلي:

١- خاطبهم المؤمن بكل لين ورحمة وكان يناديهم ويقول لهم: يا قومِ، وهذا فيه الشيء الكثير من التحبب والتقرب إليهم لاستمالتهم إلى الحق.

٢- الترغيب: وهو من أهم وسائل الوعّاظ، ومن الترغيب الذي شوقهم له وعرضه عليهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ غافر: ٤٢، ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ غافر: ٤٠، ﴿وَأَنَآ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ﴾ غافر: ٤٢.

---

(١) البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق: (٥/ ٥٢).

(٢) النصيرات، صفات وأساليب القائمين بالنصيحة للولاة، مرجع سابق، ص: (٤٩).

٣- الترهيب: فقد خوفهم وحذرهم من أن يحلّ بهم ما حلّ بالأمم السابقة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ غافر: ٣٠-٣١.

كما خوفهم من يوم القيامة وببعض ما فيه من أهوال: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ﴾ غافر: ٣٢-٣٣، "يوم تولون مدبرين معناه: على بعض الأقاويل في التنادي تفرون هروباً من المفزع، وعلى بعضها تفرون مدبرين إلى النار، والعاصم: المنجي"(١).

ومن جميل بلاغته في الوعظ أن جمع لهم بين الترغيب والترهيب من خلال ذكر اسمين من أسماء الله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ﴾ غافر: ٤٢، فالترهيب في ذكر اسم الله: العزيز، والترغيب في ذكر اسمه: الغفار.

٤- التذكير بالنعم وما أعطاهم الله تعالى من خيرٍ وفضل، لعلّ في ذلك ما يحملهم على شكر الله تعالى والاستجابة لأمره، فقد ذكرهم بنعم الله عليهم ومنها نعمة الملك: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ غافر: ٢٩.

ثالثاً: علم التاريخ

إنّ التذكير بالأمم السابقة وما نزل بالعصاة منهم؛ لمن أهم الطرق الدعوية في إقناع المدعوين بالإسلام، وتخويفهم من أن ينالهم ما نال أولئك المعرضين عن الدين الحق، والمؤمن هنا يذكرهم بما جرى للأمم السابقة المعرضة عن هدي ربها، فيذكرهم بما جرى لقوم نوحٍ عليه السلام، وعادٍ وثمود: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ غافر: ٣٠-٣١، ويشير أيضاً إلى قصة يوسف عليه

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق: (٤/ ٥٥٨).

السلام: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ﴾ غافر:٣٤، "ومن تناسب المعاني في كلام المؤمن أن اختص يوسف عليه السلام، بالذكر بعد التحذير؛ للمناسبة بينه وبين موسى، عليه السلام، فمن التناسب بين يوسف وموسى، عليهما السلام: وحدة المرسِل جل جلاله، ووحدة الرسالة، ووحدة المِصْر، ثم توسع فجعل مجيء يوسف، عليه السلام، إلى الآباء مجيئاً إلى الأبناء"(١)، وتذكير المدعوين ببعض أحداث التاريخ يعد منهجا دعويا قرآنيا، فالقرآن يأمرنا بالنظر في أحوال الأمم السابقة وما حصل لهم من عقوبات؛ لنأخذ منهم العظة والعبرة: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ الأنعام: ١١.

رابعاً: علم فقه الأولويات والموازنات

مما عرفناه من خلال الآيات تميّز مؤمن آل فرعون بفقه الموازنات؛ من ذلك تقديره الدقيق واختياره للأسلوب المناسب في الدعوة لكل مرحلة بما يناسبها، ومن ذلك:

١- بعد أن أسلم رأى ذلك المؤمن أن يكون الأنسب والأسلم للدعوة أن يكتم إيمانه، ومرة أخرى يكون الأفضل والأنفع للدعوة أن يظهر ذلك الإيمان، "ولما كان المقام لضيقه غاية الضيق بالكون بين شرور ثلاثة عظيمة: قتلهم خير الناس إذ ذاك، وإتيانهم بالعذاب، واطلاعهم على إيمانه، فأقل ما يدعوهم ذلك إلى اتهامه إن لم يحملهم على إعدامه داعية للإيجاز في الوعظ والمسارعة إلى الإتيان بأقل ما يمكن"(٢)، أي كان هناك ثلاثة خيارات متوقعة، كلها سيئة، لكن أقلها سوءاً أن يكشف إيمانه.

---

(١) الماجد، ماجد بن محمد، الإعجاز البياني في قصة مؤمن آل فرعون، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلده العدد ٢، ٢٠٠٨، (ص: ١٨).

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٥٤/١٧).

٢- وفي إظهار مؤمن آل فرعون للإيمان في بلاط فرعون تضحية بنفسه في سبيل الله ليدافع عن نبي الله، وهنا قد يكون ذلك العمل يؤدي في استشهاده، لكن إزهاق نفسه أهون من إزهاق نفس نبي الله موسى عليه السلام، ما دفعه لهذا العمل العظيم هو فقه ذلك المؤمن ومعرفته بالأولويات، وأن أتباع الرسل يجب أن يفدوهم بأرواحهم، وأن الجندي ينبغي أن يضحي من أجل بقاء القيادة، وقد فعل الصحابة ذلك في كثيرٍ من المواقف وأشهرها يوم أحد.

ومما ظهر من العلوم في خطاب المؤمن أيضاً؛ مع علمه الشرعي؛ علمه بأساليب الدعوة وكيفيتها ومعرفته بالمدعوين، فخاطبهم الخطاب المناسب المؤثر، وهذه من أهم ما يحتاجها الدعاة ليكون خطابهم مؤثراً ومقنعا.

المطلب الثالث:

الشجاعة

الشجاعة من أهم صفات الرجال، ومن أعلى فضائلهم، وقد كان لمؤمن آل فرعون القدح المعلى منها، بل هي أبرز صفاته بعد الإيمان.

وقد أبدى هذا المؤمن شجاعة عجيبة حين اعترض على قتل موسى عليه السلام، ولن يعترض على أمر طاغية من أشهر جبابرة التاريخ إلا رجلٌ يحمل من الشجاعة الشيء الكثير، ومن أعظم من قال كلمة حق عند سلطان جائر، وتتضح شجاعته في الأمور التالية:

١- التعامل مع عقلية فرعون القاتلة، بل والمتلذذة بطرق القتل البشعة، فهو أشهر قاتل للأطفال في التاريخ البشري، وبأبشع طريقة؛ ألا وهي الذبح: ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ القصص: ٤، كما أمر بقتل موسى لولا هروبه إلى مدين، وهو الذي أمر بقتل السحرة، ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الشعراء: ٤٩، "فكانوا في أول النهار سحرة، فصاروا في آخره

شهداء بررة"[(١)]، وقال: ﴿ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ ﴾ غافر: ٢٦، فهو يحمل عقلية لا تعرف سوى القتل، ومع ذلك كان مؤمن آل فرعون شجاعا ليقف ضد هذه النفسية المجرمة.

٢- "إنه يقول في مواجهة فرعون: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ وقد كان فرعون منذ لحظات يقول: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ فهو التحدي الصريح الواضح بكلمة الحق لا يخشى فيها سلطان فرعون الجبار ، ولا ملأه المتآمرين معه"[(٢)]، "وقوله: في الأرض يريد في أرض مصر وما والاها من مملكتهم، ثم قررهم على من هو الناصر لهم من بأس الله، وهذه الأقوال تقتضي زوال هيبة فرعون"[(٣)]، فعارضه المؤمن وقال إن الرشاد في اتباع الإسلام والإيمان الذي يدعوان إليه موسى والمؤمن، وفي هذا تصريحٌ بدعوة الناس إلى ترك طاعة فرعون، وتأمل كلمة الرشاد التي تكررت في خطاب فرعون والمؤمن، وهذا تحريضٌ واضحٌ على التمرد على فرعون، لقد أبدى شجاعةً أمام فرعون المشهور بالقوة والبطش والظلم، ولم يبال بما كان يتوقع أن يناله منه، وإنما كان همه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقول الحق عند سلطان جائر.

المطلب الرابع:

الحكمة

الحكمة من أهم المعالم والصفات التي يجب على الدعاة تمثلها، واتقانها وتعلمها وممارستها، فالحكمة قد تفتح للدعوة أبواباً مغلقةً، وقد تجنّبها عوائق موقَّعَة، لذا على الداعية إلى الله من إحسان القول والفعل؛ فيحسن مخاطبة الناس، ويختار من العلوم ما يناسبهم، حتى

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق: (٣/ ٤٥٩).

(٢) قطب، سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، (٥/ ٣٠٨٢).

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق: (٤/ ٥٥٧).

لا يكون فتنة على بعضهم، لتحقيق الاستجابة لدعوته فلا ينطق بما ينفرهم من الدعوة، ولا يفعل فعلاً يكون سبباً لبعدهم عنها.

أولاً: تعريف الحكمة

"الحكمة: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم"(١)، "والحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل"(٢).

و"الحكمة الإصابة في القول والفعل، وكتاب الله حكمة، وسنة نبيه حكمة، وكل ما ذكر فهو جزء من الحكمة"(٣)، فالحكمة في حقيقتها: وضع الأشياء في مواضعها.

ثانيا: أقوال المفسرين في الحكمة

قال الطبري: "الحكمة هي النبوة، وقال آخرون: الحكمة الفهم، وقال بعضهم: المعرفة بالدين، والفقه في الدين، والاتباع له"(٤).

وجاء في تفسير القرطبي أقوالاً عدة في معنى الحكمة، منها: "الإصابة في القول والفعل- العقل في الدين- المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له- وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه، فقيل للعلم حكمة، لأنه يمتنع به، وبه يعلم الامتناع من السفه وهو كل فعل قبيح، وكذا القرآن والعقل والفهم"(٥).

فالحكمة جمعت أموراً كثيرة؛ شملت العقل والقلب واللسان والجوارح، فهي نبوة، وإصابة في القول والعمل، وهي علم وفقه وعقل واتّباع، وتكاد تجتمع هذه كلها في مؤمن آل فرعون، فقد تميز مؤمن آل فرعون بحكمة عجيبة ووهبه الله تعالى منها الكثير، فقد كان فقيهاً في الدين عارفاً به، يقوم بالدعوة إلى الله تعالى تأسياً بالأنبياء. "وبين هؤلاء المؤمنين يبرز مؤمن

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، باب الميم، فصل الحاء، مرجع سابق: (١٢/ ١٤٠).
(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد، المفردات في غريب القرآن، كتاب الحاء، مادة: حكم، (ص: ١٢٧).
(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق: (١/ ٣٦٤).
(٤) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق: (٣/ ٨٧).
(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق: (٣/ ٣٣٠).

آل فرعون وهو فرد واحد، لكنه قد ترى في حماسة فردٍ واحدٍ ما يعديك ويستفزك للخير بما يستجيش في صدرك من طاقات تفجرها حكمته وسمته، ذلك الفرد الواحد الذي نفتقد اليوم قوته وحكمته معاً على طريق دعوة لم تنتشر إلا بالحكمة والموعظة الحسنة"[١].

ومن الحكمة التي أبداها هذا المؤمن ما يلي:

الحكمة في أقواله:

عرفنا أن من معاني الحكمة؛ العلم والفهم والفقه، فهذا المؤمن لديه من العلم النافع الحظ الوافر، بل لديه أنواع من العلوم سبق الحديث عنها في مطلب سابق.

ومن أهم ما تميز به قدرته على الخطابة والإلقاء؛ بل وتمكنه من ذلك، ومما يدل عليه خطبته العصماء التي ألقاها على مسامع أهم فئة في مملكة فرعون وهم الملأ، وحسن صياغته للكلمات واختيار الأفضل منها والمؤثر، بل وترتيب الموضوعات التي تناولها في خطبته.

و"أسلوب الدعوة إلى الله والنجاح المحقق والدائم في الأعمال يتوقف على الأسلوب الناجح والمنهج المعقول، والخطة السليمة، وبما أن غرس العقيدة في القلب ليس أمرا سهلا، فيحتاج ذلك إلى حكمة في الخطاب، وإثارة العاطفة، وإقناع العقل، وتنبيه الفكر، وإذا استخدمت هذه الوسائل، ولم تحقق الهدف المطلوب، كان الموقف من المخاطبين متسما بالعناد وركوب الرأس، والتأثر بالأهواء والمصالح أو لعوامل أخرى كالتبعة إلى سيد أو قائد، والمهم التزام الأسلوب الحسن"[٢].

---

(١) عمارة، فقه الدعوة من قصة موسى، مرجع سابق، ص:(١١٩).

(٢) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، ، (٢/ ١٣١٨).

يقول العلامة أبو الحسن الندوي رحمه الله[١]: "في أي مدرسة تعلم مؤمن آل فرعون الحكمة؟ في مدرسة الإيمان، وقد منحه الإيمان حكمةً ملك بها زمام الموقف، وقد بدا ذلك في السبيل الذي سلكه في الاقناع، والذي يتلخص فيما يلي:

١- الاحتجاج بالمشهود: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ غافر: ٢٨، ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ الأعراف: ١٠٨.

٢- وبسنة الله الماضية: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ غافر:٢٩.

٣- الاعتبار بالتاريخ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾﴾: غافر ٣٠.

٤- التذكير بالآخرة: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾ غافر: ٣٢، يوم تولون مدبرين لا تجددون ملجأ بعد أن كنتم في الدنيا ملجأ الناس.

٥- التذكير بظاهرة مرضية في المجتمعات: نسيان النعمة وقت معايشتها، فالمصلح الاجتماعي يعيش فينا فنشتمه ونتلمس له العيوب، فإذا مات مدحناه، وقد حذرهم المؤمن من مغبة هذا الداء: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ غافر: ٣٤[٢].

ومن الحكمة التي أبداها: أسلوبه في الخطاب فتارة يخاطب عواطفهم فيحدثهم عن الإيمان بالله وقوته ومغفرته، أو يحدثهم عن اليوم الآخر وما فيه من جزاء وعقاب، ثم يعظهم موعظة الخاشع الورع الوجل من عقوبة الله، وما ذلك إلا لما يحمله من الخشية من ربه وخوفه

---

(١) سليمان الندوي: قاض، كان كبير علماء المسلمين في القارة الهندية، تفوق في الحديث وتاريخ الإسلام، نسبته إلى (دار الندوة) ولي القضاء في بهوبال، وتولى مناصب علمية أخرى، وأصدر مجلة (المعارف)، وانتقل إلى كراتشي: (١٣٧٠ هـ)، فكان فيها رئيسا لجمعية علماء الإسلام، له تصانيف مطبوعة باللغة الأردية تُرجم بعضها إلى التركية، أشهرها (السيرة النبويّة) في ١٠ مجلدات، توفي عام: ١٩٥٣ م، الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي، الأعلام، (٣/ ١٣٧).

(٢) الندوي، أبو الحسن سليمان، مجلة البعث الإسلامي باكستان، عدد جمادي الثانية ١٤٠٢هـ الموافق ابريل ١٩٨٢م.

من أليم عقابه، وتارة يخاطب عقولهم فيذهب بهم إلى التاريخ؛ ويذكرهم بتجارب بعض الأمم السابقة مع أنبيائهم، كما أن في تذكيرهم بمن سبقهم من الحضارات تنبيه للعقول بأن الإيمان بالله ورسله ليس جديداً على هذه المعمورة، بل له امتداد عبر التاريخ البشري، وليس جديدا مبتدعاً.

ثانياً: الحكمة في أفعاله

كان للمؤمن من اتقان الفعل الشيء الكثير، فقد عمل الأصوب في كل مرحلة من مراحل بقائه مع فرعون، من ذلك: أنه رأى الحكمة في كتمان إيمانه حين كان ذلك أنفع للدعوة، ولذا فقد أفاد الدعوة حينها بأن حذر موسى عليه السلام من القتل، والكتمان أسلوب عمل به الأنبياء والدعاة قديما وحديثاً، فهذا نوح عليه السلام يقول: ﴿ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ ﴾ نوح: ٩، وقال أصحاب الكهف: ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ الكهف: ١٩. "ويحسن من المؤمن إظهار إيمانه حيث يحسن الإظهار ،كما لو كان في هذا الإظهار مصلحة للدعوة الى الله أو تشجيع الآخرين على الإيمان بالدعوة"(١).

"ومن الإظهار المستحب للإيمان؛ إظهار مؤمن آل فرعون إيمانه بعد أن كان يكتم إيمانه، لأن الكتمان كان هو المستحب، ولكن لما علم بتآمر القوم: فرعون والملأ معه على قتل موسى أظهر هذا الرجل المؤمن إيمانه الذي كان يكتمه ليدافع عن موسى بالحجة والبرهان"(٢). ولكن عندما رأى عزم فرعون على قتل نبي الله موسى عليه السلام؛ أصبح الكتمان غير مناسب في هذا الوقت، فرأى أن الأصلح للدعوة أن يُظهر ما كان مخفياً ويعلن إسلامه لينقذ موسى عليه السلام من القتل مرة أخرى، فليس من الحكمة أن يبقى مستمراً

(١) زيدان، عبدالكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، (٢/ ٣٧٧).
(٢) المرجع السابق، (٢/ ٣٧٧).

على الأسلوب الماضي في كتمان الإيمان، فألقى خطبته الشهيرة في مجلس فرعون معترضاً على الجريمة المتوقع حصولها.

ومن الحكمة تلك الشجاعة التي أظهرها واستعداده للشهادة في سبيل الله، فمن عارض رأي فرعون الذي علا في الأرض؛ فالمتوقع أن يُقتل في قصر فرعون.

المطلب الخامس:

الحوار

الجدال بالحجة والحوار الحسن والخطاب المؤثر من أعظم ما أوتيه مؤمن آل فرعون، ولو تأملنا التسلسل العجيب في خطبته لرأينا مَلَكَة الحوار العجيبة التي منحه الله تعالى. و"ينبغي للداعية أن يتلطّف في الكلام مع من له صلة به من ذوي السلطة والسلطان؛ ولكن مع وضوح القول وبيان الحق الذي تدعو إليه دعوة الداعي"(١).

وقد رأينا في خطبة المؤمن عدة مميزات:

أولاً: ترتيب الأولويات في خطابه حيث بدأ باستنكار القتل وهو بيت القصيد والأمر الأهم والأعظم في تلك الخطبة، وهو الموضوع الذي حمله على إظهار ما كان مخفياً، وكشف ما كان مستوراً من إيمانه.

ثانياً: خاطبهم بالقواعد العقلية وهي قاعدة التقسيم ووضع الاحتمالات، "فإن الرسول إذا كان كاذبا فعليه وزر كذبه ولا يتضرر به من لا يتبعه، وإن كان صادقا نفعهم صدقه، وسلموا من الآفات وألوان العذاب الذي يهدد به، وقد استخدم المؤمن هذا الأسلوب: وإن يك كاذبا فعليه كذبه، لا لشك منه في صحة رسالة موسى وصدقه، ولكن تلطفا في الدفاع، وبعدا عن الأذى، وإظهار للتجرد والموضوعية"(٢).

---

(١) المرجع السابق، (٢/ ٣٧٩).

(٢) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (٢٤/ ١١٨).

ثالثاً: استخدم أسلوب الوعظ بجوانبه المختلفة، وذكرهم بأمرين قد يسهما في إقناعهم بالإيمان بالله؛ أحدهما: التذكير بنعم الله ومنها نعمة الملك، وثانيهما: قصص الظالمين السابقين، فذكر لهم تجارب السابقين قوم نوح وعاد وثمود، لعل في ذلك إقناع لهم، فالعقل السليم ينبغي أن يأخذ بتجارب السابقين ولا يكرر الأخطاء التي عملوها لأنه حتما سيلقى نفس النتيجة التي وصلوا إليها.

رابعاً: الردود التي كان يلقيها على فرعون، إذ ذكرت الآيات أقوالاً لفرعون مخاطباً الملأ، فلم يترك المؤمن عقولهم تتشرب مغالطاته، فرد عليه بقوة حجة وبرهان، بل وقام بإظهار عيوبه ومساوئه.

خامساً: إستدراجهم للإيمان، "كأنه قال: أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة، وما لكم علة قط في ارتكابها إلا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة، ولكن بينات عدة من عند من نسب إليه الربوبية، وهو ربكم لا ربه وحده، وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به، وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم"(١).

سادساً: اقتداء المؤمن كثيراً بنبي الله موسى عليه السلام في خطابه وحواره، وتأمل التشابه بين خطابيهما في الموضوعات التي تناولاها، ومن ذلك:

١-قول موسى عن فرعون مبيناً بعض مساوئه: ﴿ مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ غافر: ٢٧، وقال المؤمن: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ غافر: ٣٥.

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٤/ ١٦٢).

٢-ذكّر موسى قومه بنعمة الملك: ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾ المائدة: ٢٠، وهذا ما فعله المؤمن قائلاً: ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ غافر: ٢٩.

٣-موسى عليه السلام يرغب قومه في الجنة ويحذرهم من النار: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ طه: ٧٤ – ٧٦، وكذلك فعل مؤمن آل فرعون: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ غافر: ٤٣، وقال عن المؤمنين: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ غافر: ٤٠ .

٤-ورد ذكر الأمم السابقة في خطاب موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ طه: ٥١ – ٥٢، ومثله خطاب المؤمن: ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ غافر: ٣١.

٥-واستجار موسى عليه السلام بربه واستعاذ به ولجأ إليه فقال: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم ﴾ غافر: ٢٧، فاقتدى به المؤمن قائلاً: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ غافر: ٤٤.

المطلب السادس:

التدرج

بسبب وجوده في قصر فرعون، ونظراً لوظيفته المهمة في تلك المملكة القوية فقد استخدم مؤمن آل فرعون وسيلة مهمة كان لها الدور بعد توفيق الله وحفظه في أداء دور عظيم لخدمة الدعوة من موقعه المهم والحساس، هذه الوسيلة هي التدرج في اتخاذ المواقف، واتضح هذا الأسلوب الحكيم أكثر في الآتي:

أولا: التدرج في الأعمال التي قام بها

١- اعتنق الإسلام وعاش مسلماً مؤمناً يؤدي عباداته متكتما، ﴿يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ غافر: ٢٨.

٢- حذر موسى عليه السلام من القتل، قال: ﴿إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ﴾ القصص: ٢٠، وهذا من الأعمال الخطيرة التي قد تعرض حياته للخطر، فهي تعد من تسريب المعلومات الخطيرة لأعداء الدولة.

٣- ثم قام بدور أعظم في نفس الموضوع السابق وهو حماية موسى عليه السلام من القتل؛ ولكن هنا بلسانه وحجته، وبشكلٍ ظاهرٍ واضحٍ وجلي، من خلال الاعتراض على قتله في مجلس فرعون، وهذا مشقته أعظم من العملين السابقين.

٤- الأمر الأخير والأعظم مما سبق؛ وذلك حين حدد الصف الذي ينتمي إليه وينحاز إليه انحيازاً كاملاً واضحا إلى حد المفاصلة؛ وذلك بخروجه مهاجراً مع موسى وقومه وكان له موقف عند شق البحر ذكره المفسرون.

ثانيا: التدرج من سرّيّة الإيمان إلى الجهر به

١- مرحلة الإسرار بالإيمان: قدّم المؤمن فيها عملاً صالحاً وخدمةً للدعوة؛ من خلال البقاء مع فرعون مسلماً يكتم إيمانه، ولا يخفى على أحد مقدار المعاناة التي تطال من يكتم عباداته عن الناس، فإذا كان الأمر يتعلق بمن له منصبٌ كبيرٌ كمنصبه؛ وهو ولي العهد أو صاحب شرطة أو صاحب السر، فلا شك أنّ عليه مهماتٍ كثيرة وأعمالاً عظيمة وانشغالاتٍ متعددة ومتنوعة، وهنا تكون مهمة كتمانه لعباداته أصعب.

٢- مرحلة الجهر بالإيمان: حين رأى أن الخطر بدأ يحدق بنبي الله موسى عليه السلام، اتخذ قراره السريع والخطير والمهم؛ وهو أن يظهر إيمانه، لأنه قد يكون في ذلك نفعٌ أعظم من بقاءه مكتوما، بل إنه تدرّج في إظهار إيمانه بشكل عجيب، فلم يكشف لهم هذا الخبر دفعة واحدة، بل تدرج معهم في كشفه رويدا رويدا، جاء في نظم الدرر:

"ولما كان كلامه هذا يكاد أن يصرح بإيمانه، وصله بما يشككهم في أمره ويوقفهم عن ضره، فقال مشيراً إلى أنه لا يخلو حاله من أن يكون صادقاً أو كاذباً، مقدماً القسم الذي هو أنفى للتهمة عنه وأدعى للقبول منه"(١)، "فقال: ﴿أَنَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾، ولم يذكر اسمه بل قال رجلا ليوهمهم أنه لا يعرفه، ثم قال: ﴿أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، ولم يقل رجلا مؤمنا بالله أو هو نبي الله، إذ لو قال ذلك لعلموا أنه متعصب ولم يقبلوا قوله"(٢)، ومن التدرج معهم في إظهار ايمانه رويدا رويدا أنه قال: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾، "أي أنا وأنتم، أدرج نفسه فيهم عن ذكر الشر بعد إفراده لهم بالملك إبعاداً للتهمة وحثاً على قبول النصيحة"(٣).

وأخيرا صرح وأبان ما كان يخفيه من الإيمان، وأظهره بكل وضوح واعتزاز وشجاعة حين قال: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، "وماذا يبقى بعد هذا البيان الواضح الشامل للحقائق الرئيسية في العقيدة؟ وقد جهر بها الرجل في مواجهة فرعون وملئه بلا تردد ولا تلعثم، بعد ما كان يكتم إيمانه، فأعلن عنه هذا الإعلان؟ لا يبقى إلا أن يفوض أمره إلى الله، وقد قال كلمة وأراح ضميره"(٤).

تنوعت أساليب مؤمن آل فرعون في تعامله مع الواقع الذي يعيشه، والمخاطر التي تحيط به، آخذا بأسباب السلامة مستعينا بالله، ومتوكلا عليه، ليس خوفا من الموت؛ وإلا ما كان ليظهر إيمانه أمام الملأ، وإنما نوّع تلك الأساليب وتدرج فيها ليخدم دين الله تعالى، من الموقع والمكان الذي وضعه الله فيه، وهو قصر فرعون.

ثالثاً: التدرج في الخطاب

---

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق: (١٧/ ٥٤).
(٢) الصابوني، مُحَمَّد علي، صفوة التفاسير، (٣/ ٩٣).
(٣) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق: (١٧/ ٥٧).
(٤) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق: (٥/ ٣٠٨٣).

التدرج في الدعوة والتعليم من أهم الأمور التي تعين على تحقيق الهدف المرجوّ، وقد جاءت كثيرٌ من الأحكام الشرعية متدرجة ولم تأت دفعة واحدة، لكي يستجيب لها الناس، وعلى الدعاة التأسي بهذا المؤمن في ذلك، فقد قام المؤمن مخاطباً قومه بخطابٍ متدرجٍ حذر، " قوله: وقد جاءكم بالبينات من ربكم فهو ارتقاء في الحجاج بعد أن استأنس في خطاب قومه بالكلام الموجه فارتقى إلى التصريح بتصديق موسى بعلّة أنه جاء بالبينات، ولما توسم نهوض حجته بينهم وأنها داخلت نفوسهم، أمن بأسهم، وانتهز فرصة انكسار قلوبهم، فصارحهم بمقصوده من الإيمان بموسى، فابتدأ بنصح فرعون لأنه الذي بيده الأمر والنهي، وثنى بنصيحة الحاضرين من قومه تحذيرا لهم من مصائب تصيبهم من جراء امتثالهم أمر فرعون بقتل موسى فإن ذلك يهمهم كما يهم فرعون. وهذا الترتيب في إسداء النصيحة نظير الترتيب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ولأئمة المسلمين وعامتهم»[(١)](٢).

"ويبدو هذا التدرج جليا واضحا فيما عرضه بين يدي قومه، فقد أنكر عليهم أولاً أن يقتلوا رجلاً لا ذنب له سوى أنه يقول: ربي الله مع إتيانه بالبينات الدالة على صدقه، ثم استدرجهم بقوله: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ﴾ غافر: ٢٨، ثم عرّض بهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ غافر: ٢٨، ثم انتقل يذكرهم بنعم الله عليهم في دوام الملك، وخوَّفهم من بأس الله، ثم انتقل بهم إلى الخبرات والتجارب البشرية السابقة وما أصاب المكذبين، ثم نقلهم إلى مشاهد يوم القيامة، ثم عاد بهم إلى تجربة يوسف في أسلافهم الذين مضوا، ثم صرَح لهم بإيمانه بعد هذه الجولة بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨﴾ غافر: ٣٨، بل إنه صرَّح وجهر ببراءته من آلهتهم التي يدعون: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، باب بيان أن الدين النصيحة، (١/ ٧٤)، برقم: (٥٥).

(٢) ينظر ابن عاشور التحرير والتنوير:(٢٢٤/ ١٢٩-١٣١)

وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ غافر: ٤٣، وإذا كان هذا الداعية قد تدرج في إعلانه من الأدنى إلى الأعلى فإننا نجد فرعون قد تدرج من الأعلى إلى الأدنى فبعد أن قال في البداية: ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ غافر: ٢٦، فإنه تراجع بعد ذلك وأمر ببناء الصرح بحجة البحث عن إله موسى، ويطلب من قومه التريث حتى يطلعهم على حقيقة موسى"[(١)].

وهذا دليل واضح أن أسلوب المؤمن في مخاطبته لفرعون وللملأ قد آتى ثماره وأثّر على قرارات فرعون، وحمله على التردد ثم التراجع.

(١) نصيرات، جهاد محمّد، صفات وأساليب القائمين بالنصيحة للولاة، مرجع سابق، ص: (٤٧).

الخاتمة

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

١- أغلب المفسرين على أنّ اسم مؤمن آل فرعون هو حزقيل.

٢- كان لمؤمن آل فرعون منصباً عظيما في مملكة فرعون، وكان أحد أهم أقاربه.

٣- عظمة وتنوع الأعمال التي قام بها مؤمن آل فرعون وصعوبة المهمة الدعوية التي اضطلع بها.

٤- أهم الأعمال التي قام بها هي إنقاذ موسى عليه السلام مرتين من القتل، والدعوة إلى الله تعالى.

٥- من أهم وسائل حماية الدعوة والدعاة؛ وصول الدعوة إلى قلوب أقارب الولاة، أو أصحاب المناصب الرفيعة.

٦- قد تحتاج الدعوة إلى كتمان شأن بعض أفرادها، ليقدموا لها خدمة عند ولاة الأمر، مع الحفاظ على المبادئ والقيم.

٧- الأهمية العظيمة للمعالم الدعوية التي برزت في قصة مؤمن آل فرعون، ولها دورٌ عظيم في نجاح الدعوة.

٨- حاجة الدعاة اليوم إلى أنواعٍ متعددةٍ من العلوم، كالتاريخ والوعظ وعلم الموازنات.

٩- حاجة الدعاة اليوم إلى الحكمة في تعاملهم مع المدعوين لتحقيق مقاصد الدعوة.

١٠- ينبغي أن يتحلى الدعاة بصفة الشجاعة لأن أعداء الدعوة يتربصون بها وبحملتها.

١١- الجدال بالحجة والحوار الحسن والخطاب المؤثر من أهم المهارات التي يحتاجها الدعاة.

١٢- حاجة المكتبة الإسلامية إلى مصنفات تربط قصص القرآن الكريم بواقع الناس اليوم.

١٣- كلما كانت مكانة العامل للإسلام أعظم كانت مسئوليته نحو دينه أكبر، لكنها أصعب وتحتاج لهمة وتضحية.

ثانياً: التوصيات

١- على المسلمين عامّة والدعاة خاصّة التأمل أكثر في القصص القرآنية واستخراج ما فيها من كنوز.

٢- على الدعاة والعاملين للإسلام تمثل صفات مؤمن آل فرعون، من الحكمة والشجاعة.

٣- على الدعاة والعاملين للإسلام العمل بمبدأ التدرج في مسيرتهم الدعوية اقتداءً بمؤمن آل فرعون.

٤- على الدعاة والعاملين للإسلام العمل بمبدأ الحوار والإقناع بالحجة، وعليهم تنميتها واتقانها.

٥- على المعاهد الدعوية والمدارس التربوية والمراكز البحثية الاستفادة من قصص القرآن الكريم في صياغة منهج دعوي تطبيقي للدعاة والخطباء.

٦- على المعاهد الدعوية والمدارس التربوية تدريس قصة مؤمن آل فرعون، كنموذج عملي دعوي رائد ومتميز.

المصادر والمراجع

١- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية.

٢- ابو حيان، مُحَمَّد بن يوسف الأندلسي، (١٤٢٠ هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر – بيروت.

٣- ابن دريد، أبو بكر مُحَمَّد الأزدي، (١٩٨٧م، ط: ١)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت.

٤- ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر، ١٩٨٤ هـ، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر – تونس.

٥- ابن عطية، أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، (١٤٢٢ هـ، ط: ١)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية – بيروت.

٦- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ط: ٢)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٧- ابن منظور مُحَمَّد بن مكرم، أبو الفضل، الأنصاري الرويفعي، (١٤١٤ هـ، ط: ٣)، لسان العرب، دار صادر – بيروت.

٨- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، (١٤١٥هـ، ط: ١)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت.

٩- البغوي، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، ط: ٤)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: مُحَمَّد النمر - عثمان ضميرية - سليمان الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع.

١٠- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١١- الثعالبي، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مخلوف، (١٤١٨ هـ، ط: ١)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: مُحَمَّد معوض، عادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٢- الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، ط: ١)، تحقيق: الإمام أبي مُحَمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

١٣- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ط: ١)، درج الدرر في تفسير الآي والسور، تحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا.

١٤- الجرجاني، علي بن مُحَمَّد بن علي، (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ط: ١)، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان.

١٥- الحموي، أحمد بن مُحَمَّد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت.

١٦- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد، (١٤١٢ هـ، ط: ١)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، كتاب الحاء، مادة: حكم.

١٧- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (١٤١٨ هـ، ط: ٢)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر - بيروت، دمشق.

١٨- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (١٤٢٢ هـ، ط: ١)، التفسير الوسيط، دار الفكر – دمشق.

١٩- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٣١٤٠٧هـ، ط: ٣)، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٠- زيدان، عبد الكريم، (١٤٢١هـ-٢٠٠١م ، ط: ٩)، أصول الدعوة، ، مؤسسة الرسالة.

٢١- زيدان، عبدالكريم زيدان، (١٩٩٧م، ط: ١)، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، مؤسسة الرسالة، لبنان.

٢٢- سليم، مُحَمَّد سيد أحمد، ٢٠١٧م، فقه الدعوة من قصة مؤمن آل فرعون، مجلة قطاع أصول الدين، مصر، المجلد: ١٢، الجزء: ٢.

٢٣- السمرقندي، أبو الليث نصر بن مُحَمَّد بن أحمد، بحر العلوم، دار الفكر، بيروت، تحقيق الدكتور: مطرجي.

٢٤- الصابوني، مُحَمَّد علي، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، ط: ١)، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة.

٢٥- الطبري، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ط: ١)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة.

٢٦- عمارة، محمود مُحَمَّد عمارة، ١٩٨٤م، فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة.

٢٧- غلوش، أحمد غلوش، (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ط: ٢)، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، دار الكتاب المصري، القاهرة.

٢٨- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٩- القحطاني، د. سعيد بن علي بن وهف، ١٤١٥هـ، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة- مفهوم ونظر وتطبيق، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

٣٠- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، (١٤٢١هـ، ط: ١)، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، رسالة دكتوراه، من جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٣١- قطب، سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة.

٣٢- الماجد، ماجد بن مُحَمَّد، ٢٠٠٨م، الإعجاز البياني في قصة مؤمن آل فرعون، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد٥ العدد ٢.

٣٣- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٤- الندوي، أبو الحسن سليمان، عدد جمادي الثانية ١٤٠٢هـ الموافق ابريل ١٩٨٢م، مجلة البعث الإسلامي باكستان.

٣٥- النصيرات، جهاد مُحَمَّد، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م، صفات وأساليب القائمين بالنصيحة للولاة، المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، عدد: (٢).